من الإنترنت إلى الشارع: دور وسائل الإعلام الاجتماعية في ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ في مصر

حسني محمد نصر

أستاذ، قسم الإعلام
جامعة السلطان قابوس
جامعة القاهرة

تاريخ الاستلام: ٢٠١٣/٣/١٢
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٣/١٠/٢٣

من الإنترنت إلى الشارع: دور وسائل الإعلام الاجتماعية في ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ في مصر

حسني محمد نصر

مستخلص:

تحلل هذه الدراسة دور الشبكات الاجتماعية على الويب خصوصا شبكة فيسبوك خلال الثورة التي اندلعت في مصر في يناير كانون الثاني ٢٠١١، وذلك من خلال تحليل مضمون عينة من الصفحات. وتناقش الدراسة كيف مكنت هذه الشبكات الشباب المصري من تبادل المعلومات قبل الثورة وفي أثنائها وبعدها، تلك التي أنهت في ثمانية عشر يوما فقط حكم الرئيس السابق حسني مبارك الذي استمر ثلاثين عاما. وتحلل الدراسة أيضا المناقشات التي دارت قبل الثورة وأثنائها على صفحات شبكة فيسبوك، التي مكنت المواطنين من التفاعل معا ومشاركة المحتوى ونقل الاحتجاجات الشعبية من العالم الافتراضي إلى الشارع. وخلصت الدراسة إلى أنه خلال الثورة، عملت وسائل الإعلام الاجتماعية كمنظم سياسي، ووسيلة إعلام بديلة، وصحافة مواطن. وتؤكد الدراسة أن وسائل الإعلام الاجتماعية نجحت في أن تكون مجالا اتصاليا بديلا استخدمه الناشطون في الوصول إلى عامة الشعب، وتم من خلاله عرض مختلف وجهات النظر حول الثورة، وكانت وسيلة مهمة لتمكين المواطنين من مناقشة الأوضاع في البلاد. وخلصت الدراسة إلى أن نجاح الثورة في مصر أظهر أهمية وسائل الإعلام الاجتماعية كشكل من أشكال الاتصال الأفقي في تبادل المعلومات، وأن تجربة استخدام وسائل الإعلام الاجتماعية دعم قيام ثورة سياسية كان لها انعكاسات مهمة على عملية التحول الديمقراطي في مصر.

الكلمات المفتاحية: مصر- ثورة ٢٥ يناير- وسائل الإعلام الاجتماعية- شبكة فيسبوك- الحركات الاجتماعية

The Role of Social Networks in Egypt's January 2011 Revolution

Hosni Mohamed Naser

Abstract

This paper examines the role of the online social networks, especially Facebook, during the Egyptian revolution in January 2011. Analysis of a sample of pages shows how these networks helped people exchange information before, during and after the 18 days revolution which ended the reign of former president - Hosni Mubarak. The study analyzes how online discussions and media coverage before the revolution enabled citizens to communicate with each other and share content online, and eventually move their revolutionary ideas from the virtual world to the streets of Egypt. Analysis shows that during the revolution, social media functioned as a political organizer, an alternative media, and a medium for citizen journalism. The study reveals that social media created an alternative public sphere for Egyptian activists, thus helping them communicate their ideas with the general public without restraints. In addition, social networks provided people with the opportunity and the freedom to discuss their country's situation at all levels. Success of the revolution shows the important role social media plays as a means of information sharing. The study concludes that using social media networks helped the Egyptian revolution and had significant impact on the democratic transition in Egypt.

Key words: Egypt- 25th January Revolution- Social networks media- Facebook- Social movements

مقدمة

كانت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ في مصر إنجازاً لا يصدق، ومثالاً ملهما يؤكد قوة الاحتجاجات السلمية، تماماً مثلما كانت دافعا لجدل لم ينته بين الباحثين في حقول معرفية كثيرة حول الدور المحدد الذي يمكن أن تقوم به شبكات التواصل الاجتماعي علي شبكة الويب في المجتمع المعاصر.

إن الدعوة إلى يوم الغضب في ٢٥ يناير ٢٠١١ التي أشعلت الثورة المصرية انطلقت من صفحة على فيسبوك. ولذلك ومنذ ذلك الحين بدأ بعض الباحثين يتساءلون عما إذا كانت هذه ثورة شبكة فيسبوك؟ في المقابل فإن البعض الآخر من الباحثين في الإعلام مازال لديهم يقين بأن اندلاع الحركات السياسية والاجتماعية يعود في المقام الأول إلى الشعوب وليس إلى أدوات وتقنيات الاتصال. ففيسبوك، مثله مثل الهواتف المحمولة، والإنترنت، وتويتر، ليس لديه وكالة للتغيير، وليس له اتجاه معين أو أيديولوجية سياسية محددة، ولكنه في الحقيقة ما يفعله الناس به. ويمكن القول إن مسؤولية شبكة فيسبوك عن اندلاع الثورة في مصر يشابه مسؤولية مطبعة غوتنبورغ عن حركة الإصلاح البروتستانتي التي شهدتها أوروبا في القرن الخامس عشر. ومع ذلك يمكن القول إن أيًا من حركات الإصلاح والحركات المؤيدة للتحويل الديمقراطي التي اجتاحت تونس ومصر وليبيا واليمن، وجزءاً كبيراً من المنطقة كان يمكن أن تحدث في هذه المرحلة دون هذه الأدوات الجديدة. ومع هذا فإن الأمر الثابت هو أن وسائل الإعلام الرقمية قد أحدثت ثورة في التعلم، والإدراك، والدمج الاجتماعي وسهلت إلى حد كبير نمو سلوكيات تشكل وعي الأجيال الجديدة.

إن الالاف للنظر في الثورة المصرية ليس فقط أهميتها التاريخية والسرعة المذهلة التي تمت بها، ولكن أيضا الدور المختلف الذي لعبته وسائل الإعلام خلالها. ولعل هذا ما دفع البعض إلى تسميتها باسم «ثورة شبكة فيسبوك» تقديراً للدور البارز الذي قامت به وسائل الإعلام الاجتماعية الجديدة، سواء في الدعوة إلى وتنظيم الاحتجاجات الشعبية الواسعة، وتحقيق التواصل الفوري بالصور والمعلومات، وفي عمليات نشر عدوى التظاهرات الاحتجاجية في جميع أنحاء مصر وبعض الدول العربية الأخرى. وإذا كان هذا الحكم لا ينصف كل القوي السياسية والإعلامية التقليدية التي مهدت للثورة وشاركت فيها، فإن هذه الدراسة تسعى إلى تحليل الدور الذي لعبته وسائل الإعلام الاجتماعية الجديدة في إطار الواقع الاجتماعي والسياسي والإعلامي الذي أحاط بهذه الثورة وكان له تأثير مباشر في قيامها ونجاحها.

خلفية

في يناير من عام ٢٠١١ شهدت مصر سلسلة من الأحداث المترامنة التي سرعان ما أصبحت تعرف باسم ثورة ٢٥ يناير. فقد خرجت مظاهرات شعبية واسعة تتحدى النظام القمعي المعادي للديمقراطية (International Crisis Group, 2011). وقد دعت الثورة إلى وضع حد للفساد وتحسين الظروف المعيشية للمواطنين وتحقيق الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان. وقد أذهلت مشاهد

الثورة التي بدأت بيوم الغضب (٢٥ يناير)، ثم المظاهرة المليونية (١ فبراير)، العالم كله عندما ظهرت علي شاشات القنوات الفضائية الدولية والإخبارية.

وقد لاحظ العديد من المعلقين، أن واحدة من أهم الأدوات التي مهدت لثورة ٢٥ يناير في مصر كانت صفحة شبكة فيسبوك التي تم إنشاؤها تخليداً للذكرى الشاب الإسكندري خالد سعيد، الذي تعرض للضرب بوحشية، وقتل على يد الشرطة. وأصبحت هذه الصفحة نقطة محورية جمعت حولها نحو ٤٧٠ ألف من "المعجبين" الذين اتفقوا علي تنظيم معارضتهم للنظام، في الوقت الذي شاهد فيه أكثر من نصف مليون شخص الفيديو الخاص بعملية قتل خالد سعيد علي موقع يوتيوب، وهو ما أسهم في تأجيج الغضب الشعبي ضد النظام الحاكم.

وساهمت الاحتجاجات الشعبية التي شهدتها تونس وانتهت بالإطاحة بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي في ١٤ يناير ٢٠١١، في زيادة اهتمام الشباب المصري بصفحة "كلنا خالد سعيد" التي أصبحت نقطة تجمع محورية لنشر فكرة الاحتجاجات الشعبية في جميع أنحاء مصر. وهو ما ظهر في تأكيد أكثر من ٨٥ ألف شخص على الصفحة حضور الاحتجاجات المناهضة للحكومة يوم الثلاثاء، الموافق ٢٥ يناير في القاهرة ومختلف محافظات مصر. وقد نشرت صفحة «٢٥ يناير يوم الثورة» علي شبكة فيسبوك قائمة من المطالب لنظام الرئيس مبارك، بدءاً من رفع الحد الأدنى للأجور، وحتى تحديد فترة الرئاسة.

وبسبب نجاح ثورة التونسيين، وبفضل الشجاعة الكبيرة التي أظهرها المحتجون من الشباب في مواجهة قوات الأمن في الشوارع، ساهمت شبكات التواصل الاجتماعي أيضا في توسيع وتنويع قاعدة المحتجين الذين خرجوا للثورة علي النظام في ميدان التحرير بوسط القاهرة، لتشمل إلى جانب الشباب فئات المهنيين من الأطباء والمحامين والقضاة وأساتذة الجامعات، إلى جانب المسيحيين والنساء. وقد نجح هذا الالتفاف الشعبي في إفشال جميع محاولات الرئيس مبارك لوقف الدعم المحلي والأجنبي للمتظاهرين. كما نجح التدفق الكبير للتدوينات القصيرة علي موقع تويتر، ولقطات الفيديو على موقع يوتيوب وملصقات شبكة فيسبوك في توفير محتوى معلوماتي عن التظاهرات والاحتجاجات لوسائل الإعلام المهمة المصرية والعربية مثل قناة الجزيرة التي أنشأت قناة أخبار جديدة باسم «الجزيرة مباشر مصر»، وخصصتها فقط لتغطية أحداث وتطورات الثورة المصرية.

لقد أشعلت الاحتجاجات الحاشدة التي بدأت في مصر في ٢٥ يناير ٢٠١١ شرارة الثورة في بلد خضع لحكم قمعي لسنوات طويلة. والمؤكد أن حجم الاحتجاجات، وصمود المتظاهرين وإصرارهم على إسقاط النظام كان يمثل حركة غير مسبوقة في تاريخ مصر، وكان بمثابة تصحيح لمقولة إن المصريين لا يهتمون بالسياسة. فعلي مدي أكثر من عقد من الزمان قبل الثورة، شهدت مصر زيادة ملحوظة في مستويات الحراك الجماعي الذي شمل شرائح واسعة من المجتمع. وبين عامي ١٩٩٨ و ٢٠٠٨، نظم عمال الصناعة آلاف الاحتجاجات

التراث العلمي والنظرية

يُعرف النشاط السياسي Political activism بأنه «الأفعال التي يقوم بها مجموعة من الأفراد المتماثلين في التفكير لتغيير الوضع الراهن سواء عن طريق الثورة أو بالتدريج، والدعوة من أجل قضية، وواء كانت محلية أو عالمية» (Cammaerts, 2007; Kahn and Kell-ner, 2004; Lomicky and Hogg, 2010). ويمكن أن يشمل هذا النشاط نشاط الحركات الاجتماعية والعمل الجماعي. وتقوم الحركات الاجتماعية علي الدخول في نضال طويل مع السلطة (Tarrow, 1998: تيلي, 1978)، وذلك بهدف تحقيق نوع من التغيير الاجتماعي في نهاية المطاف. أما العمل الجماعي، الذي يعرفه تيلي (1978: 84)، Tilly بأنه «العمل المشترك للسعي إلي تحقيق الغايات المشتركة»، فإنه قد يتشكل في صورة حملة احتجاج أو تكتل للضغط، ويمكن توظيفه كجزء من الحركة الاجتماعية، أو أن يكون حدثاً لمرة واحدة. وفي الحالتين فإن التعبئة الناجحة تعتمد على درجة المصالح للمجموعة المشتركة والهوية المشتركة والموارد المتاحة لها، والسلطة السياسية المتاحة لها، والفرص والتهديدات، ومستوى القمع الحكومي الذي تواجهه (Tilly, 1978). وفي هذا العصر الرقمي، فإن الوصول إلى التكنولوجيا والدراية الجيدة بها جعل منها مورداً مهماً للحركات الاجتماعية الناجحة (Rofe, 2005). وفي مصر، فإن ما بدا على أنه احتجاج محدود علي شبكة الإنترنت عبر موقع شبكة فيسبوك علي مقتل الشاب خالد سعيد علي أيدي رجال شرطة، قد تطور ليصبح حركة سلمية شعبية تطالب بالعدالة.

والواقع أن الطريقة التي تجمع بها المصريون عبر موقع شبكة فيسبوك للمطالبة بالعدالة تندرج ضمن ما يسميه Castells (2001) «حركة شبكية اجتماعية» تنتمي إلي عصر المعلومات. وقد مثلت هذه الحركة الشبكية الاجتماعية التي تستند على قيم ثقافية (العدالة)، ائتلافاً فضفاضاً وشبه عفوي، يعتمد كلياً على تقنيات الإنترنت (شبكة فيسبوك)، كما مثلت حركة وطنية محلية كان لها مردودات عالمية (Castells, 2001). إذ عندما كان المصريون يتظاهرون في القاهرة ضد نظام مبارك، نظم مستخدمو شبكة فيسبوك في الولايات المتحدة وأوروبا المظاهرات الإلكترونية الخاصة بهم، على أمل أن يدفع الاهتمام العالمي بما يجري في مصر حكومة الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة على التدخل ومساندة حركة الاحتجاجات الشعبية. ولعل ما جعل هذه الحركة الشبكية الاجتماعية فريدة من نوعها، هو أنها لم تكن مجرد حركة قام بها مجموعة من الناشطين علي شبكة الإنترنت لمساعدة حركة اجتماعية موجودة بالفعل، وإنما كانت حركة نشأت بالكامل علي الإنترنت ثم انتقلت إلى الشارع، وهو التحول الذي لم يضعه التراث العلمي السابق حول الحركات الاجتماعية في الحسبان بشكل كبير. ولتحقيق فهم أفضل للكيفية التي استطاع من خلالها مستخدمو شبكة فيسبوك تعبئة الملايين من الناس للمشاركة في الاحتجاجات سواء إليكترونياً أو في الشارع، فإن هذه الدراسة توظف مدخل الأطر framing approach الذي يقول وفقاً لانتان (Entman, 1993)، إن وسائل الإعلام تؤثر الأحداث والقضايا من خلال عمليات

والإضرابات والاعتصامات. ومن أبرز هذه الاحتجاجات الدعوة إلي إضراب عام من قبل عمال النسيج في مدينة المحلة الكبرى في ٦ أبريل ٢٠٠٨، وهي الدعوة التي استحوذت على اهتمام ودعم كبيرين من قطاع عريض من المصريين. وعلي إثر هذا الإضراب شكلت مجموعة من الناشطين الشباب ما بات يُعرف باسم «حركة شباب ٦ أبريل» لدعم هذه الدعوة، وذلك باستخدام شبكة الإنترنت وتنظيم وتطوير أفكار حول مسار واتجاه التغيير. وقد أنشأت الحركة موقعاً علي الويب يوفر ساحة افتراضية للنقاش وتداول المعلومات، كما أنشأت صفحة على شبكة فيسبوك، لنشر الأخبار وجمع الأنصار. والأهم من ذلك، أن الحركة كانت منفتحة على كل الاتجاهات السياسية ونجحت في ضم أعضاء من التجمعات السياسية المختلفة بما في ذلك جناح الشباب في جماعة الإخوان المسلمين. وحتى قيام الثورة كانت الحركة تركز اهتمامها على القضايا الاجتماعية مثل المساواة، والعدالة الاجتماعية، إلي جانب حماية الحريات العامة، والحريات المدنية.

إلي جانب ما سبق كان هناك وافدون جدد على الساحة السياسية وساحة الاحتجاجات، مثل موظفي الضرائب العقارية الذين نظموا في عام ٢٠٠٨ اعتصاماً استمر ١١ يوماً في وسط القاهرة للمطالبة بتحسين الأجور. وبالتوازي مع هذه التعبئة الشعبية من أجل الإصلاح الاقتصادي، نظمت جماعات أخرى في المجتمع احتجاجات من أجل الإصلاح السياسي. وكانت هذه الأنشطة على مستوى عالٍ من التنظيم. كما شهدت المدن والقرى في جميع أنحاء مصر، تجمعات للمواطنين للاحتجاج على ضعف البنية التحتية وسوء معاملة الشرطة. وكانت هذه التجمعات في كثير من الأحيان تنتهي بأعمال عنف.

وبصفة عامة، فإن كل هذه الاحتجاجات كانت تمهد للثورة. فرغم أن هذه الثورة لم يسبق لها مثيل، فإنها في نفس الوقت كانت متوقعة. وقد نجحت الأنشطة المبكرة والاحتجاجات الجماهيرية المستمرة، في كسر جدار الخوف من النظام الذي بنته الشرطة على مدى سنوات عديدة.

وإذا كان من السابق لأوانه تقديم تقويم شامل لجميع العوامل التي ساهمت في الثورة المصرية، فإن وسائل الإعلام والمحللين، على حد سواء، قد أكدوا على دور وسائل الإعلام الاجتماعية في بناء شبكات من المعارضين وتسهيل تنظيم الاحتجاجات. ويرجع البعض الفضل إلي «جيل شبكة فيسبوك» في إشعال شرارة الاحتجاجات الشعبية. والأمر الذي لا شك فيه، أن نشاط وسائل الإعلام الاجتماعية قد نجحوا في تطويع الاتصال الافتراضي للدعوة إلي «يوم الغضب» في نفس يوم الاحتفال بعيد الشرطة، وهو ما مكّنهم من الإمساك بزمام المبادرة في كسر حاجز الخوف من النظام. والمؤكد أن تجربة المواطنين اليومية في الإذلال في الشوارع، وزيادة التفاوتات الاجتماعية، نتيجة احتكار نخبة صغيرة للثروة وموارد البلاد، وانسداد أفق المسار السياسي الرسمي، كانت جميعها عوامل دفعت الشباب إلى تنظيم المعارضة المستقلة للنظام، وحشد كل قواها لإسقاطه.

بالفعل، ودعم الوسائل التقليدية للحركات الاجتماعية، سواء الاحتجاجات أو حملات التوقيع، فإن شبكة الإنترنت، على عكس أي وسيلة أخرى، تسمح بالعمل السريع والسهل وغير المكلف مالياً، والقادر على الوصول إلى خارج الحدود الجغرافية، ومن ثم يكون هذا العمل غير مقيد بقيود الزمن أو المساحة أو المسافة (Castells, 1998; Juris, 2005; Ribeiro, 2001).

لقد كانت المشكلة الرئيسية والدائمة التي تعاني منها الحركات الاجتماعية تتمثل في كيفية الحصول على ما يكفي من الأفراد المتحمزين لبدء التعبئة، وجذب المزيد من المشاركين ومن الموارد (Opp, 2009)، ولكن مع الشبكات الاجتماعية الإلكترونية تم التغلب على هذه المشكلة، إذ إن كل ما يتطلبه الأمر هو نقرة من الماوس لجذب المشاركين من جميع أنحاء العالم. ولعل هذا ما دفع بعض الباحثين إلى التعبير عن الحاجة إلى «آلية اجتماعية إلكترونية تسمح بربط الناس الذين لديهم ما يكفي من المصالح الموارد المتشابهة، حتى يتمكنوا من العمل معاً» (Oliver and Mar- well, 1988:6).

ومع ذلك، إذا كان من السهل أن يضغط المستخدم على خيار «انضم للمجموعة» أو خيار «وقع على الطلب»، فإن من المهم أن نضع في الاعتبار ما إذا كان أعضاء الحركات الاجتماعية على الإنترنت مؤمنين بالقضية التي يتم تداولها، أم أنهم فقط يفعلون ذلك دون اقتناع. ومن هذا المنطلق يري فان دي دونك وزملاؤه (Van de Donk et al. 2004) أن الإنترنت تكمل، ولا تحل محل الآليات التقليدية التي تستخدمها الحركات الاجتماعية.

وإذا كان أحد الباحثين (Morozov 2007, 2009b) يعترف بأن الشبكات الاجتماعية الإلكترونية مثل فيسبوك، يمكن أن تسهل تعبئة الجماهير وتدفعها إلى العمل الجماعي، وتخلق جيلاً جديداً من النشاط والمتظاهرين، فإنه يحذر في نفس الوقت مما يسميه «الحتمية التكنولوجية» التي قد تجعل النشاط الافتراضي يطغى في الأهمية والأولوية لدى قطاعات كبيرة من النشاط على النشاط الفعلي في الشارع. وعلي نفس المنوال يشكك بعض الباحثين في صحة ما إذا كان التفاعل الافتراضي يزيد مستويات الثقة بين المشاركين، وهي الثقة الواجب توافرها لدعم العمل الجماعي المستمر (Diani, 2000). وبدون هذه الثقة، فإن أعضاء الجماعة لا يكونون ملتزمين بدعم الحركة التي ينتمون لها، ومثلما يزيد دعم الحركة بسرعة كبيرة على الشبكات الاجتماعية فإنه أيضاً ينخفض بسرعة كبيرة بعد مرور فترة من الزمن (Diani, 2000; Van Laer and Van Aelst, 2009). وقد وجد بعض الباحثين أن الروابط الافتراضية بين أفراد المجموعة أو الحركة، دون وجود اتصال حقيقي وجهاً لوجه، لا تكفي لكي تحقق الحركة نجاحاً ملموساً في تعبئة الجماهير أو الحفاظ على الحركة الاجتماعية، وذلك على أساس أن العلاقات الحقيقية غالباً ما تكون أكثر قيمة وأكثر فعالية من الاتصال الإلكتروني غير الشخصي (Diani, 2000; Ribeiro, 1998).

ورغم ما سبق فقد خلصت دراسة ووجيسياك (2009:573) Wojcieszak للأنشطة الإلكترونية لجماعات النازيين الجدد وجماعات البيئة في ألمانيا، أن هذه الأنشطة قد عززت الهوية

الاختيار والتركيز والإقصاء. وبعبارة أخرى، فإن الأطر تحد للجمهور كيفية التفكير في الشيء. وغالباً ما تركز دراسات الأطر على بحث قضية محددة أو مجموعة من القضايا العامة، بهدف استخلاص الأطر الموضوعية مثل: القيم، والتعارض، والنتائج، أو أطر الاهتمامات الإنسانية (Iyengar, 1991; Matthes, 2009; Price et al., 1997). ومع ذلك، فإن الأطر تبدو أكثر من مجرد فئات لتصنيف المضمون الإعلامي، إذ إنها تنظم وتبني المعاني بما يساعد على إبراز المعاني المضمنة داخل النص (Reese, 2007). وفي إطار التراث العلمي الخاص بالحركات الاجتماعية، فقد حدد (Gerhards and Rucht, 1992) ثلاثة أطر للعمل الجماعي، هي: إطار التشخيص diagnostic، الذي يحدد المشكلة أو يحدد من يتم إلقاء اللوم عليه؛ وإطار التكهّن أو التنبؤ prognostic، الذي يفضّل الحلول الممكنة، وإطار التحفيز أو التحريض motivational، الذي يحرص الأفراد على القيام بعمل ما أو يعيّنهم لتحقيق هدف ما. ويشير ماكليود وهيرتوغ إلى تأطير "نموذج احتجاج" انتهاء فيه إلى أن الاعتماد على مصادر رسمية في الأخبار الخاصة بالاحتجاج يؤدي في نهاية المطاف إلى نزع الشرعية عن المحتجين (McLeod D and Hertog J, 1999).

والواقع أن دراسة المشاركات والتعليقات المنشورة على صفحات موقع فيسبوك يسمح بتطوير مدخل متفرد لتحليل كيف يؤثر مستخدمو شبكة فيسبوك الحركة الثورية. ولا شك أن الطريقة التي يتم بها تأطير تلك المشاركات تساعد في تفسير كيفية تعبئة الحركة الاجتماعية على الإنترنت من خلال المداخلات والتعليقات التي تشير إلى المشكلة، والحلول المقترحة لها، ودفع الناس للمشاركة في الاحتجاجات الفعلية في الشارع.

تأثير الإنترنت على الحركات الاجتماعية

وفقاً لمسح أجرته DigiActive في عام ٢٠٠٩، فإن مواقع الشبكات الاجتماعية أصبحت هي المدخل الأكثر شيوعاً للنشاط السياسي على الإنترنت، على الرغم من أن هذه المواقع لم يتم إنشاؤها لهذا الغرض (Brodock et al., 2009). ومع الوضع في الاعتبار أن المعلومات حول تأثير الإنترنت في التعبئة السياسية والاجتماعية مازالت محدودة للغاية (Rofe, 2005; Wojcieszak, 2009)، فإن هذه الدراسة مهمة لاستكشاف ما يمكن أن تقدمه الشبكات الاجتماعية للإلكترونية خاصة شبكة فيسبوك، للحركات الاجتماعية (Cleaver, 1998; Diani, 2000).

ويميل الباحثون إلى النظر إلى دور الإنترنت في الحركات الاجتماعية من جانبين: الأول: أن شبكة الإنترنت يمكن أن تسهل الأنشطة الفعلية التقليدية، وتعزز قدرات الحركات القائمة من خلال إضافة حملات البريد الإلكتروني، وتوقيع المطالب والعرائض على الإنترنت، وتنظيم التظاهرات والاعتصامات الافتراضية على الموقع الإلكتروني (Castells, 2001; Juris, 2005). والثاني: أن لإنترنت يمكن أن تخلق أشكالاً جديدة من النشاط والمقاومة (Car-doso and Pereira Neto, 2004; Rofe, 2005; Van Laer and Van Aelst, 2009). وفيما يتعلق بدعم الإنترنت للأنشطة والحركات القائمة

الحركات الاجتماعية القائمة من إمكانات الإنترنت والشبكات الاجتماعية، وأوضح أنه من الخطأ أن نتجاهل حقيقة أن الإنترنت يمكن أن تخلق أنماطاً جديدة من النشاط السياسي الذي لا يستند على نظير واقعي له. ولعل هذا ما يدفعنا في هذا البحث إلى تحليل دور الشبكات الاجتماعية في خلق حركات سياسية واجتماعية رافضة في الفضاء الإلكتروني ثم انتقالها إلى العمل في الشارع.

ويثير ما سبق سؤالاً مهماً حول ما إذا كانت الإنترنت والشبكات الاجتماعية تعمل كمسبب لقيام حركات الرفض السياسي والاجتماعي، أم أن دورها يقتصر فقط على دعم أنشطة تلك الحركات؟. في هذا الإطار يري كاستلز (Castells, 2001) أن الأحداث والأزمات الحادة هي ما تقود إلى قيام حركات التغيير السياسي والاجتماعي وليس الأنشطة التي تقوم بها تلك الحركات على الإنترنت. ويؤكد جاسبر (Jasber, 1997:106) إن الصدمات الأخلاقية هي المسؤولة في الغالب عن خلق شعور بالغضب لدى البعض ودفعهم إلى الانخراط في العمل السياسي، ومن ثم فإنها تمثل مطلباً رئيسياً للتعبة الجماهيرية وقيام حركات الرفض السياسي والاجتماعي. وعلي نفس المنوال يقول أوب (Opp, 2009:96) إن مشاعر الحزن المفاجئة أو الأحداث المخيفة يمكن أن تدفع المواطنين العاديين إلى أن يصبحوا نشطاء سياسيين. في المقابل يبدو من المؤكد إن وسائل الإعلام الاجتماعية الجديدة مثل يوتيوب وفيسبوك وتويتر والرسائل التليفونية القصيرة والمدونات، أصبحت تلعب دوراً محورياً في اندلاع الاحتجاجات السياسية والاجتماعية حول مختلف القضايا والأحداث في مختلف دول العالم. وقد حلل هارلو (Harlow, 2012) أنشطة جماعتين من جماعات فيسبوك الأكثر نشاطاً، التي نشأت كرد فعل على فيديو نشر علي يوتيوب في مايو ٢٠٠٩، اتهم فيه محامي شهير يدعي Rodrigo Rosenberg الرئيس الجواتيمالي Alvaro Colom بقتله. ومن خلال استخدام المقابلات مع القائمين علي هاتين المجموعتين وتحليل مضمون المصقات والتعليقات المنشورة علي صفحتيهما، خلص الباحث إلى أن موقع الشبكة الاجتماعية تم استخدامه لتشكيل حركة رفض سياسي واجتماعي إلكترونية انتقلت بعد ذلك إلى العمل في الشارع. ويشير هارلو إلى أن تعليقات زائري الصفحتين، بالإضافة إلى استخدام الروابط والعناصر التفاعلية والوسائط المتعددة الأخرى التي يتيحها موقع فيسبوك قد ساعد في تنظيم احتجاجات جماهيرية واسعة نزلت إلى الشارع تطالب بالعدالة وإنهاء العنف في البلاد.

وحلل زهانج وزملاؤه (Zhang et al, 2010) الدور الذي قامت بها الشبكات الاجتماعية الإلكترونية في إشراك الناس في العملية الديمقراطية. واعتمد الباحثون على استبانة هاتفية لسكان الجنوب الغربي في الولايات المتحدة الأمريكية لكشف مدى تأثير استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية مثل فيسبوك وماي سبيس ويوتيوب في الاتجاهات السياسية والمشاركة الديمقراطية. وانتهت الدراسة إلى أن الاعتماد على مواقع الشبكات الاجتماعية كان له علاقة واضحة بزيادة المشاركة في الشأن العام وليس المشاركة السياسية على وجه التحديد، في حين أن الاتصال الشخصي المباشر قد عزز كلاً من المشاركة في الشأن العام والمشاركة في العملية

الجماهيرية لأفراد هذه الجماعات، وهو ما جعل المشاركة على الإنترنت مؤشراً قوياً علي العمل السياسي في الشارع. وخلصت الدراسة إلى أنه كلما زادت المشاركة في المناقشات الإلكترونية لهذه الجماعات كلما زادت مشاركة أعضائها في الأنشطة السياسية في الشارع. كما خلصت دراسة هارا (Hara, 2008) حول الأنشطة السياسية لجماعة تسمى MoveOn.org تشكلت خلال الحملة الرئاسية لعام ٢٠٠٤ في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى أن الشعور بالانتماء للجماعة -حتى دون أن يكون هناك اتصال وجها لوجه بين أفرادها- قد أسهم بشكل كبير في نجاح الحركة في ضم أعضاء جدد والمشاركة في الأنشطة الفعلية في الشارع.

الأنشطة الافتراضية والأنشطة الواقعية

يصنف ساندور فيغ (Vegh, Sandor, 2003) النشاط السياسي الافتراضي عبر الإنترنت وفقاً للهدف منه إلى نوعين: الأول يشمل الأنشطة التي تستهدف خلق الوعي بالقضية والحصول على التأييد، والثاني أنشطة التنظيم والتعبئة. وفي النوع الأول يسمح الويب للحركات السياسية الاجتماعية بتخطي حراس البوابة الموجودين في وسائل الإعلام التقليدية. وعلي سبيل المثال فإن الحركات المناهضة للبرالية الجديدة أنشأت شبكات تمثل مراكز لوسائل الإعلام المستقلة بهدف تقديم تغطية إخبارية بديلة للاحتجاجات التي أحاطت بمنظمة التجارة العالمية في العام ١٩٩٩. وقد خلص بوستميس وبرونستنج (Postmes & Brunsting, 2003) إلى أن النشر البديل للأخبار عبر الإنترنت قد أثر في التعبئة الجماهيرية. أما فيما يتعلق بالنوع الثاني فقد أشار فيغ (Vegh, Sandor, 2003) إلى أن الإنترنت تسهل عمليتي التنظيم السياسي والتعبئة الجماهيرية من خلال ثلاث وسائل هي:

- الدعوة إلى القيام بأنشطة سياسية فعلية في الشارع من خلال إرسال رسائل بريد إلكتروني إلى المهتمين بالقضية، أو من خلال الموقع الإلكتروني للحركة.
- القيام بحملات تعريفية بالقضية، مثل إرسال رسائل بريد إلكتروني إلى أعضاء البرلمان، أو المنظمات الحقوقية، ومنظمات المجتمع المدني المعنية.
- القيام بأعمال نشر واسعة لا يمكن أن تتم إلا من خلال الإنترنت مثل حملات البريد الإلكتروني غير المرغوب فيه لجهات سياسية كشكل من أشكال الإزعاج المنظم لها لحثها على تلبية مطالب الحركة.

والواقع أن مفهوم فيغ للنشاط السياسي الإلكتروني للحركات السياسية الاجتماعية، والذي يحصره في الأعمال التي تستهدف دعم النشاط الفعلي الموجود في الشارع، لا ينطبق على ما حدث في الثورة المصرية التي لم تكن ثورة تعتمد جزئياً على الإنترنت، وإنما كانت نشاطاً وُلد على الإنترنت، وأن الخروج إلى الشارع استند على ما حدث علي مواقع الشبكات الاجتماعية.

وقد انتقد سوشسمان وإيرل (Schussman & Earl, 2000) التراث العلمي في هذا المجال الذي ركز على الطرق التي تستفيد من خلالها

السياسية.

ومن الجوانب المهمة المتصلة بدور الشبكات الاجتماعية في تشكيل ودعم حركات الرافض السياسي والاجتماعي، علاقة هذه الشبكات بوسائل الإعلام التقليدية. وفي هذا المجال فإن الوسائل الجديدة تعمل كمراقب وناقد لأداء وسائل الإعلام الوطنية التقليدية، خاصة تلك التي تخضع لسيطرة الدولة، كما أنها تعمل كمنبه لوسائل الإعلام الدولية من مناطق قد لا تستطيع الوصول لها، وتطلعها على أحداث الاحتجاجات الشعبية والمعارضة المتزايدة للنظام، وتقدم لها مادة إعلامية خام تقوم هذه الوسائل بتوزيعها على نطاق عالي واسع. وفي المقابل فإن وسائل الإعلام الإخبارية الدولية مثل قناة الجزيرة تقوم ببث تقارير وصور حية للأحداث والاحتجاجات، وتوفر لها انتشاراً عالمياً واسعاً، مستندة في ذلك على المواد المنشورة على صفحات الشبكات الاجتماعية، كما أنها تتيح مرة أخرى للعالم كله الوصول إلى هذه الصور من خلال شبكات اجتماعية أخرى كاليوتيوب وفيسبوك وتويتر التي تحتفظ فيها بحسابات يتم تحديثها على مدار الساعة.

والواقع أن التعميم بشأن دور وسائل الإعلام الاجتماعية الجديدة في الاحتجاجات الجماهيرية والثورات الشعبية يجب أن يتم بحذر شديد، وذلك على أساس أن أهمية وفعالية وسائل الإعلام الاجتماعية في كل احتجاج أو ثورة من تلك التي شهدناها عام ٢٠١١ في المنطقة العربية، تتوقف على متغيرات وعوامل وطنية متفردة في كل حالة، مثل حرية استخدام الإنترنت والكيفية التي استخدمت بها حركات الرافض السياسي والاجتماعي هذه الوسائل (Beau-mont, 2011:2)، بالإضافة إلى معدل نفاذ التكنولوجيات الجديدة في الحياة اليومية للمواطنين في المجتمعات العربية (Ghannam, 2011). وفي مصر فاق عدد مستخدمي فيسبوك الملايين الثلاثة عشر (١٣,٠١٠,٥٨٠) وفقاً لإحصاءات يناير ٢٠١٣. وتحتل مصر المركز العشرين بين الدول الأكثر استخداماً لفيسبوك بمعدل نفاذ يصل إلى ١٦,١٧٪ من عدد السكان، و٦٠٪ من عدد مستخدمي الإنترنت. وقد زاد عدد مستخدمي فيسبوك في مصر بنحو ١,٥٧٠,٣٤٠ مستخدماً في الشهور الستة الأخيرة من عام ٢٠١٢. وتنتمي النسبة الأكبر من مستخدمي فيسبوك في مصر إلى الفئة العمرية من ١٨-٢٤ سنة، بعدد ٥,٠٤٢,٢٨٠ مستخدماً، تليها الفئة العمرية من ٢٥ إلى ٣٤ سنة. ويمثل الذكور ٦٤٪ من المستخدمين، مقابل ٣٦٪ من الإناث (Egypt Facebook Statistics, 2013).

نظرية عدوي وسائل الإعلام

يتحفظ عدد من الباحثين في الإعلام في الحديث عن نظرية «عدوي وسائل الإعلام»، خاصة عندما يتعلق الأمر بالثورات السياسية. وتقول هذه النظرية إن وسائل الإعلام تسهم في نشر عدوي الانتفاضات السياسية وأعمال الشغب، وتستدل على ذلك بدور وسائل الإعلام في نشر أعمال العنف في المناطق الحضرية في الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية الستينيات (see Kerner, 1968) واحتجاجات فترة الستينيات في بريطانيا (Scarman, 1986). وتشجع النظرية التفسيرات المحافظة للعنف الجماعي (Cottle, 1993:18-31).

وفي هذا الإطار يمكن القول إن الموجة الثورية التي بدأت في العالم العربي في يناير ٢٠١١ والسريعة التي انتشرت بها من بلد إلى آخر استفادت بشكل كبير من وسائل الإعلام والشبكات الاجتماعية على الإنترنت التي لعبت دوراً لا يمكن تجاهله في تشجيع المعارضين على التجمع والتنظيم، وقدمت لهم نماذج للعمل يمكن تكرارها لتنظيم الاحتجاجات الشعبية، وساعدت بذلك على ظهور قوى جديدة للتغيير السياسي. والواقع أن الطرق التي نقلت بها وسائل الإعلام الاحتجاجات الشعبية عبر الحدود العربية قد ساهمت في حالة الحراك السياسي في أكثر من دولة، من تونس إلى مصر، ومن اليمن إلى ليبيا ومن البحرين إلى سوريا. ويؤكد ذلك الطبيعة العابرة للحدود التي أصبحت تميز إعلام الحركات الاحتجاجية، وقدرة هذا الإعلام على البناء والحفاظ على استمرار مشاعر التعاطف والتضامن السياسي مع دعوات التغيير (Allan and Thorsen, 2009; Cottle and Lester, 2011).

ولا تقتصر العدوي التي نشرتها وسائل الإعلام التقليدية وشبكات التواصل الاجتماعي على إظهار قوة الشعوب التي ثارت على حكوماتها، وبث الأمل لدى الشعوب التي تعيش ظروفًا مماثلة، وخلق الرموز الاحتجاجية مثل احتلال ميادين المدن الكبرى، أو انتحار وقتل المواطنين احتجاجاً على تردى الأوضاع المعيشية، وعنف قوات الشرطة كما حدث في حالة محمد البوعزيزي في تونس وخالد سعيد في مصر، بل تجاوزت ذلك إلى نقل الآليات الاتصالية والاحتجاجية المجربة، وطرق التغلب على الرقابة الحكومية. وهناك من يري أن النشاط والمحتجين في مصر ظلوا لسنوات سبقت ثورة يناير يدرسون آليات المعارضة الشبكية التي تم استخدامها في دول أخرى مثل حركة الخضر في إيران، وآليات تطوير الاحتجاجات الشعبية التي صاحبت انتخابات يونيو ٢٠٠٩ الرئاسية في إيران أيضاً.

مشكلة الدراسة

تتبلور مشكلة الدراسة في تساؤل رئيس يدور حول الكيفية التي تم تأطير مساهمات وتعليقات فيسبوك بها لتشكيل الثورة الإلكترونية الافتراضية التي تحولت فيما بعد إلى ثورة حقيقية في الشارع في مصر في الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١، وذلك من خلال استخدام تحليل مضمون الملصقات والتعليقات المنشورة على صفحتين من صفحات فيسبوك المرتبطة بالثورة، والمقابلات المتعمقة مع منشئي ومديري هذه الصفحات. وبالإضافة إلى تحليل أطر الملصقات والتعليقات، فإن هذه الدراسة تهتم أيضاً بالدور الذي لعبته بعض السمات الاتصالية المتفردة في موقع فيسبوك مثل القدرة على إبداء الإعجاب أو الرد على مساهمة أو تعليق مستخدم آخر، في هذه الثورة الإلكترونية الافتراضية وفي الاحتجاجات والمظاهرات الفعلية التي شهدتها المدن المصرية خلال الثورة.

أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة من حقيقة أنها الدراسة الأولى - على حد علم الباحث - التي تحلل دور الشبكات الاجتماعية الإلكترونية

فيسبوك التي ساهمت في اندلاع الثورة. أما تحليل المضمون فقد تم استخدامه لتحليل الملصقات والتعليقات التي نشرت علي صفحتين من أبرز صفحات فيسبوك التي كان لها دور في الثورة، وهما: صفحة «كلنا خالد سعيد»، و صفحة «٢٥ يناير يوم الثورة على التعذيب والفقر والفساد والبطالة». وقد ظهرت الصفحة الأولى في ١٠ يونيو ٢٠١٠، فيما ظهرت الصفحة الثانية في ١٤ يناير ٢٠١١. وتم اختيار الصفحتين لأنهما ظهرتتا قبل الثورة واستقطبتا جمهورا واسعا، وحمل حائطهما مساهمات أكبر من الصفحات الأخرى المشابهة.

المقابلة المتعمقة

تم استخدام المقابلات المتعمقة للإجابة عن السؤال الأول المتعلق بهوية منظمي الثورة الإلكترونية على الإنترنت، ودوافعهم وتوقعاتهم عندما قاموا بذلك. وأثناء المقابلات تم سؤال منشئي ومديري صفحات فيسبوك: لماذا قرروا الانخراط في الدعوة إلى الثورة؟ ومن أين جاءت فكرة استخدام فيسبوك؟ وما الذي كانوا يتوقعون تحقيقه من هذا الاستخدام؟

تحليل المضمون

علي خلاف الدراسات السابقة التي تركز في تحليل مواقع الشبكات الاجتماعية على المعلومات الأساسية العلنة وقت إنشاء الصفحة (Stern, 2007; Waters et al., 2009)، فإن الدراسة تركز على تحليل ملصقات وتعليقات المستخدمين المسجلين على الصفحة. وقد بلغ عدد الملصقات في الصفحتين ٤٣ ملصقا، بينما بلغ عدد التعليقات ١١٧,٦٦٢ تعليقا، كما يظهر في الجدول رقم (١).

وقد تم استخدام ملصقات وتعليقات مستخدمي الصفحتين كوحدة للتحليل، وذلك بعد حصر جميع الملصقات والتعليقات المنشورة على صفحتي «كلنا خالد سعيد»، و «٢٥ يناير» من العاشر من يونيو ٢٠١٠ إلى ١٢ فبراير ٢٠١١. ويمثل التاريخ الأول إنشاء الصفحة الأولى، أما التاريخ الثاني فيمثل اليوم التالي لنجاح الثورة المصرية وتنحي الرئيس مبارك عن الحكم.

وللإجابة عن السؤال الثاني (أ) المتعلق بالأطر التي وظفها مستخدمو فيسبوك، فقد تم ترميز المشاركات وفقا للأطر التي أشار لها جير هارز وروشيت (Gerhards & Ruchts, 1992) للعمل الجماعي وهي: الإطار التشخيصي (كيف حددت الملصقات والتعليقات المشكلة؟)، والتنبئي (ما الحلول المقترحة؟)، والتحريضي (هل دعت إلى العمل في الشارع؟). أما في السؤال الثاني (ب) فقد تم ترميز الملصقات والتعليقات طبقا لأطر الفكرة الرئيسية، وهي:

جدول (١): الملصقات والتعليقات على صفحتي فيسبوك.

الصفحة/النشاط	كلنا خالد سعيد (٢٠١٠-٦-١٨ إلى ٢٠١١-٢-١١)	٢٥ يناير يوم الثورة (٢٠١١-١-٢٨ إلى ٢٠١١-١-٢٤)	المجموع
الملصقات	٢٥	١٨	٤٣
التعليقات	١١٥٥٠	٣١١٢	١١٧٦٦٢
إبداء الإعجاب	١٣٨٩٢	٢٣٧٥	١٦٢٦٦٧
المشاركة	٥١٢	٣٤	٥٤٦
الصور	٢٨٨	٤	٢٩٢
لقطات الفيديو	٥	١	٦

في الثورة المصرية، إلى جانب أنها من الدراسات الأولى التي تلقي الضوء علي منطقة مازالت مجهولة إلى حد كبير في التراث العلمي العربي، وهي دور وسائل الإعلام الجديدة في تنظيم الاحتجاجات الإلكترونية التي تنتقل بعد ذلك إلى الشارع. إذ تركز الدراسات السابقة على دراسة الحركات الاجتماعية الفعلية (Gerhards & Rucht, 1992; Gitlin, 1980) وكيف تساعد الإنترنت في تفعيل دور هذه الحركات (Atton, 2003; Ayres, 1999; Castells, 2001).

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحليل الدور المحدد الذي تؤديه وسائل الإعلام الاجتماعية الجديدة في خلق الوعي وزيادة الدعم الشعبي للاحتجاجات المناهضة للحكومة، التي تحولت إلى ثورة شعبية في مصر بدأت في الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١، وأدت في نهاية المطاف إلى تنحي الرئيس حسني مبارك عن السلطة ونقل مهمة إدارة البلاد إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

أسئلة الدراسة

استنادا إلى التراث العلمي السابق في الموضوع المتصل بدور وسائل الإعلام في التعبئة والتأطير، وتأثير الإنترنت على الحركات الاجتماعية والسياسية، والنشاط السياسي الافتراضي والواقعي، وعدوي وسائل الإعلام، فإن الدراسة تسعى إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ١- من هم منظمو حركات الرفض السياسي والاجتماعي علي فيسبوك في مصر، وماذا كانت دوافعهم وتوقعاتهم؟
- ٢- أ: مع الوضع في الاعتبار الأطر الثلاثة للعمل الجماعي التي وضعها جير هارز وروشت (التشخيصية والتنبؤية والتحريضية) (Gerhards & Rucht, 1992)، ما أكثر الأطر التي وظفها مستخدمو فيسبوك في مصر في دعوتهم للثورة؟
- ب: ما الإطار الذي تم التركيز عليه في ملصقات وتعليقات مستخدمي فيسبوك في مصر (إطار الوكالة، أم إطار القيم، أم إطار العداء، أم الإطار الفلسفي؟)
- ٣- ما الأطر الفرعية الموضوعية والوظيفية التي ظهرت في ملصقات وتعليقات فيسبوك؟
- ٤- إلي أي درجة ارتبطت مشاركات المستخدمين بالأطر الرئيسية والفرعية المستخدمة في الترويج للاحتجاجات الشعبية؟
- ٥- ما أنواع المعلومات الإخبارية التي شاركها مستخدمو فيسبوك؟
- ٦- ما أنواع التعليقات التفاعلية التي وظفها مستخدمو فيسبوك في مصر؟

منهج الدراسة وأدوات جمع وتحليل البيانات

لفهم حركات الرفض السياسي والاجتماعي التي بدأت علي شبكة الإنترنت ثم انتقلت إلي الشارع في مصر، تستخدم الدراسة منهج المسح الإعلامي وتوظف أداتين من أدواته، هما: المقابلات المتعمقة وتحليل المضمون. وقد أجريت المقابلات في مدينة القاهرة خلال شهر مارس ٢٠١٢ مع اثنين من منشئي ومديري صفحات

قياس الثبات

تمت الاستعانة بأربعة مرمرين من طلاب كلية الإعلام وتكنولوجيا الاتصال بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا بالإضافة إلى الباحث لترميز مشاركات فيسبوك الخاضعة للتحليل. وتم تقييم نحو ٥٪ من هذه المشاركات لقياس الثبات بين المرمرين. وباستخدام مقياس Holsti تم حصر قرارات الترميز المتفق عليها ثم قسمتها على إجمالي عدد القرارات التي تم اتخاذها، ومن ثم حساب متوسط الثبات. وقد بلغ متوسط الاتفاق بين الباحثين ٩٤٪، وهي نسبة تفوق الحد الأدنى المقبول للاتفاق الذي يبلغ ٨٠٪ (Poindexter and McCombs, 2000). أما فيما يتعلق بمتوسط الثبات لدى كل باحث فقد تراوح بين ٨٥٪ و ١٠٠٪.

المعالجة الإحصائية للبيانات

تم استخدام برنامج التحليل الإحصائي للعلوم الاجتماعية SPSS للحصول على الجداول الخاصة بتحليل مضمون مشاركات المستخدمين علي صفحتي الفيسبوك موضع الدراسة. وفي ضوء أهداف الدراسة وعدم قيامها باختبار فرضيات، فقد اقتصرَت المعالجات الإحصائية علي الجداول البسيطة (التركرارات والنسب)، بالإضافة إلى الجداول الثنائية المركبة التي تربط بين فئتين، مثل فئة تواتر مشاركة المستخدمين وفئة الوظائف التي تؤديها هذه المشاركات.

النتائج

في الإجابة عن السؤال الأول الخاص بهوية منظمي الاحتجاجات على فيسبوك ودوافعهم وتوقعاتهم، كشفت المقابلات التي أجريت معهم أنهم من الشباب الذين تقع أعمارهم في العشرينيات، وتلقوا تعليمًا عاليًا في الجامعات المصرية الحكومية. كما كشفت أنهم عندما أسسوا صفحات الرفض السياسي والاجتماعي علي فيسبوك لم يكن في نيتهم القيام بدور تعبوي لحشد المصريين للثورة على نظام الرئيس مبارك، وإنما كانوا يريدون إعلام الناس بحالات عدم العدالة وانتهاكات حقوق الإنسان التي يعانون منها في ظل النظام البوليسي القائم، وذلك من خلال إلقاء الضوء على أحداث هزت مشاعر الناس مثل مقتل الشاب خالد سعيد علي أيدي رجلي شرطة في الإسكندرية في السادس من يونيو ٢٠١٠، ومصرع شاب آخر يدعي سيد بلال خلال احتجازه في مقر مباحث أمن الدولة في الإسكندرية، وذلك بعد تعذيبه لإجباره على الاعتراف بالمشاركة في تفجير كنيسة القديسين. وعندما انضم آلاف الناس إلى الصفحات التي أنشئوها أدرك هؤلاء الشباب أن الجماهير مدفوعة بتزايد العنف من جانب قوات الشرطة أصبحت جاهزة للخروج إلى الشارع في احتجاجات شعبية.

وقد أكد أحد منشئي ومديري هذه الصفحات ويبلغ من العمر ٢٦ عامًا إن فيسبوك كان هو وسيلة الاتصال المتاحة بين الشباب في مصر في ذلك الوقت، بعد أن تحول لدي قطاعات عديدة منهم إلى جزء من الحياة اليومية، ومن خلاله تم بلورة فكرة الخروج إلي الشارع. وأشار منظم آخر يبلغ من العمر ٣٠ عامًا إلى أنه نشأ وهو

إطار الوكالة المتعلق بالمشاركة أو التحريض على المشاركة، وإطار القيم المتصل بالمستوى الأعلى لنماذج العدالة والديمقراطية والأمن القومي والوطنية والأمن العام وصالح المجتمع، والإطار العدائي المتصل بتصوير حركة الرفض السياسي والاجتماعي بوصفها عملاً جيداً في مواجهة الأعمال الشريرة للنظام القائم، بالإضافة إلى الإطار الفلسفي التأملي المتصل بالحوار حول النماذج التاريخية السابقة والنتائج التي انتهت لها وتغطية وسائل الإعلام أو غيرها للأحداث. (Matthes, 2009; Noakes and Johnson, 2005). وفي السؤال الثالث المتعلق بالأطر الفرعية الموضوعية والوظيفية المستخلصة من الملصقات والتعليقات المنشورة على الصفحتين موضع التحليل، فقد تم تصنيف هذه المشاركات إلى مجموعة من الفئات الموضوعية، وهي: المشاركات المتصلة بالأعمال الاحتجاجية، والمناهضة للرئيس/ الدولة، والتي تقدم مطالب محددة، والتي تذكر الثورة بشكل واضح، والتي تتناول تغطية وسائل الإعلام/ المقالات/ المدونات، والعدالة والحرية، والمتعلقة بالجرائم/ المشاكل في مصر، والمتعلقة بالتضامن الخارجي مع حركة الرفض، والمتصلة بفيسبوك/ تويتر، والتشجيع العام/ دعم الحركة، وأخرى. وقد تم تحليل ١٠٪ من الملصقات و١٪ من التعليقات بشكل عشوائي لتحديد الموضوعات الأكثر تكراراً. (Poindexter & McCombs, 2000). أما في تحديد وظائف المشاركات علي الصفحتين فقد تم تصنيف هذه الوظائف في مجموعة من الفئات هي: نقل المعلومات، الدعوة إلى فعل، الإشارة إلى مشاركة سابقة أو مستقبلية في الاحتجاجات، التعبير عن رأي، طلب معلومات، تقديم دعم وتشجيع.

وللإجابة عن السؤال الرابع المتصل بمعدل تكرار مشاركة المستخدمين في التعليقات، فقد تم ترميز التعليقات للكشف عن عدد مرات قيام المستخدم الواحد بالتعليق في نفس اليوم. وعليه تم تقسيم المستخدمين وفقاً لمعدل قيامهم بالتعليق علي أساس إدراج من قاموا بالتعليق مرة واحدة في اليوم في فئة (المستوى المنخفض)، وإدراج الذين علقوا من مرتين إلى ثلاث مرات في اليوم الواحد في فئة (المستوى المتوسط)، وإدراج الذين علقوا أكثر من ثلاثة مرات في اليوم الواحد في فئة (المستوى العالي أو الكثيف). وفي الإجابة عن السؤال الخامس المتعلق بنوعية المعلومات الإخبارية التي نشرها مستخدمو فيسبوك علي الصفحتين، فقد تم دمج متغير تغطية وسائل الإعلام مع متغير عدد مرات استخدام الروابط ونوعية تلك الروابط، وتم عد المشاركات التي تتضمن روابط سمعية أو مرئية أو نصية. أما في السؤال السادس الخاص بنوعية المشاركات التفاعلية ودرجة الارتباط بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي لدي مستخدمي فيسبوك، فقد تم تصنيف هذه المشاركات إلي: مشاركة أصلية، ومشاركة تمثل رداً على مشاركة أخرى. ومن السمات التفاعلية الخاصة بفيسبوك التي تم أخذها في الاعتبار خيار «أحب ذلك»، سواء للمشاركة الأصلية أو مشاركة مستخدم آخر. وتم تخصيص فئة لتعليقات المواطن الصحفي إذا كان مستخدم فيسبوك قد قدم فيها شهادة شاهد عيان أو صوراً من الاحتجاج.

نماذج التعليقات التنبؤية ما كتبه مستخدم ذكر: «إن ما نريده من الرئيس الآن هو أن يتخلى عن منصبه». ومن نماذج التعليقات التشخيصية قول إحدى الفتيات: «إننا نريد أن تكون بلدنا أفضل بدون فساد وبدون تعذيب.. نحن نريد الحرية والديمقراطية والعدالة والرحمة والحب».

وعندما تم تحليل المشاركات وفقا للأطر الأساسية للإجابة عن السؤال الثاني (ب)، اتضح (انظر الجدول رقم ٢) أن أغلبية المشاركات (٦٦٪ من التعليقات و٤٢٪ من الملصقات) تندرج ضمن إطار الوكالة (المتصل بالمشاركة في الاحتجاجات أو الدعوة للمشاركة فيها). وعلى سبيل المثال فقد كتبت إحدى المستخدمات ملصقا عن فيديو نشر علي موقع يوتيوب، ويظهر فيه ضابط أمن يعتدي بالضرب على طالبة بجامعة الأزهر، وقالت: «إذا لم تتم مساءلة هذا الضابط عما فعله فإننا جميعا سيكون علينا أن نأخذ ثأرنا منه بأيدينا».

الموضوعات والوظائف

في الإجابة عن السؤال الثالث الخاص بموضوعات ووظائف مشاركات فيسبوك المنشورة في الصفحتين موضوع الدراسة، كشف التحليل كما يتضح في الجدول رقم (٣) أن موضوع «الاحتجاج وما يرتبط به من دعوات وأفعال» قد استحوذ على النسبة الأكبر من هذه المشاركات (٣٠٪)، يليه موضوع تأييد الحركة الاحتجاجية والتشجيع علي الاستمرار فيها (٢١٪). وعلى سبيل المثال وضع مدير صفحة «كلنا خالد سعيد» الملصق التالي، الذي يدعو إلى شكل احتجاجي جديد:

«في ١٥ يوليو ٢٠١٠ سيكون لدينا فكرة رائعة.. سوف نطبع الدستور المصري أو نشترى نسخا منه ثم نقوم بقراءته أثناء وقفتنا الاحتجاجية في الشارع.. وسيقوم كل واحد منا بتصوير ١٠ نسخ من المادة ٥٤ من الدستور التي تعطينا الحق في التجمع والتظاهر وسوف نعطي ضباط الشرطة الذين سيأتون للقبض علينا هذه الصور ونجعلهم يمزقون الدستور لتكون فضيحة للنظام».

وفيما يتعلق بالوظائف فقد ركزت معظم المشاركات (٣٠٪) علي الدعوة إلى القيام بأفعال احتجاجية من خلال تبادل المعلومات والتعبير عن الرأي والإشادة بالمشاركين في الاحتجاجات. وعبرت ٢١٪ من المشاركات عن تأييد الحركة الاحتجاجية. وقد نشر أول عمل احتجاجي دعت له صفحة «كلنا خالد سعيد» يوم الجمعة ١٨ يونيو

جدول (٢): معدل تكرار الأطر الأساسية في مشاركات مستخدمي فيسبوك في الصفحتين

الإطار	الملصقات (%)	التعليقات (%)
إطار الوكالة (المرتبط بالفعل)	٤٢	٦٦
إطار رد الفعل (المرتبط بتغطية وسائل الإعلام)	١٤	٦
إطار القيم (المرتبط بالمثل العليا مثل العدالة)	٢٩	١٥
الإطار العدائي (الخير مقابل الشر)	١٣	١٠
أطر أخرى	٢	٣
المجموع	٤٣	١١٧٦

يستخدم الكمبيوتر والإنترنت وأن شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت بالنسبة لجيله واحدة من طرق التواصل الأساسية مع الآخرين، ولذلك فإنه عندما شاهد الفيديو الخاص بقتل خالد سعيد على موقع يوتيوب قرر أن ينشئ صفحة علي فيسبوك لمشاركة الآخرين كل شيء حول هذه الجريمة حتى يستطيع أن ينفس عن مشاعر الإهانة التي سببها له هذا الحادث.

«لقد كنت شغوفاً لرؤية ما إذا كان الناس سوف يهتمون بما أقول أم لا.. والمفاجأة أنني وجدت في الأيام الأولى عشرات ثم مئات الناس ينضمون للصفحة، وهو ما منحني شعوراً بالمسؤولية. لم أكن اعتقد علي الإطلاق أن صفحة فيسبوك التي كانت مجرد تنفيس عن غضبي الشخصي سوف تتحول إلى أداة مهمة في ثورة مصر».

وقال شاب مصري آخر يبلغ من العمر ٢٩ عاما أنه كان لديه صفحة علي فيسبوك عندما وقع حادث قتل خالد سعيد في الإسكندرية وبادر إلى وضع تحديثات وصور عن الحادث قبل أن يقرر إنشاء صفحة أخرى مخصصة للحادث فقط. ويؤكد أنه لم يكن يتوقع أن يخلق فيسبوك مثل هذه الحركة الاحتجاجية الواسعة ردا على حادث قتل أو أي مشكلة اجتماعية أخرى في مصر.

ويشعر مديرو صفحات فيسبوك بالتفاؤل إزاء قدرة وسائل الاتصال الاجتماعية الإلكترونية على تشجيع المشاركة السياسية لدى فئة الشباب، من منطلق انضمام المزيد منهم إلي فيسبوك بشكل يومي. ولذلك فإنهم يرون أن فيسبوك يمكن أن يساهم في تغيير أوضاع البلاد. وتوضح إجابات أصحاب ومديري صفحات فيسبوك أنهم فوجئوا بقدرة فيسبوك السريعة على الحشد الجماهيري الواسع. فقد أنشئوا صفحاتهم لأنهم شعروا بالصدمة من المزاعم التي نشرتها السلطات ووسائل الإعلام التقليدية عن خالد سعيد بعد قتله، وشعروا أكثر بالإحباط من تزايد عنف قوات الأمن وعدم العدالة. وفي ضوء ذلك يمكن القول إن الحركة الاحتجاجية التي نشأت على فيسبوك لم تكن حركة منظمة ومخططاً لها من قبل، لكنها تبلورت وأصبحت ممكنة عبر فيسبوك. وبينما يؤكد البعض إن فيسبوك يمكن استخدامه بنفس الطريقة مرة ثانية، فإن البعض الآخر يبدو متشائماً إزاء ذلك، ويرى إن حالة مقتل خالد سعيد كانت متفردة وغير قابلة للتكرار.

أطر العمل الجماعي

في الإجابة عن السؤال الثاني (أ) المتعلق بالأطر التي وظفها مستخدمو فيسبوك (التشخيصية والتنبؤية والتحريضية)، في مشاركاتهم على الصفحتين الخاضعتين للتحليل، فقد كشف التحليل أنه عند وضع المشاركات المشار لها في نطاق نظرية الحركات الاجتماعية وأطر الفعل الجماعي، اتضح أن ٥٤٪ من التعليقات و٥١٪ من الملصقات كانت ذات طابع تحريضي وتدعو إلى مواجهة النظام في الشارع. ويقول أحد التعليقات التحريضية لمستخدم ذكر: «نعم نستطيع أن نفعلها.. دعونا نمضي في طريقنا.. دعونا نستمر في النضال». في المقابل فإن ٢٧٪ من الملصقات و٢٥٪ من التعليقات كانت تنبؤية (تقترح حلولاً)، بينما كانت ٢٢٪ من الملصقات و٢١٪ من التعليقات تشخيصية (تحدد المشكلة). ومن

جدول (٣): موضوعات ملصقات وتعليقات صفحتي فيسبوك

موضوعات الملصقات والتعليقات	التكرار (%)
الاحتجاج	٣٠
تأييد الحركة والتشجيع	٢١
تغطية وسائل الإعلام/المقالات/ المدونات	٥
التوقيع علي مطالب	٤
مناهضة الرئيس/ الحكومة	١١
التضامن مع ضحايا الشرطة	٨
المطالبة بالعدالة/ إنهاء الإقصاء	١٠
ذكر الثورة	٣
موضوعات متصلة بفيسبوك وتويتر	٢
جرائم/ مشكلات أخرى في مصر	٦
المجموع	١٠٠٪ (١٢٢٠ مادة)

جدول (٤): تكرار المشاركات ووظائفها في صفحتي فيسبوك موضع الدراسة

الوظيفة	منخفضو المشاركة (%)	متوسطو المشاركة (%)	كثيفو المشاركة (%)
الدعوة إلى عمل	٢٩	٢٢	٤٥
نقل معلومات	٢٢	٣١	٢٤
التعبير عن رأي	١٧	١٩	١١
الإشارة إلى مشاركة سابقة/ مستقبلية في احتجاج	٤	٥	٧
البحث عن معلومات	١٤	١١	٤
دعم الحركة الاحتجاجية وتشجيعها	٩	٨	٦
أخرى	٥	٤	٢
٦٢١	٢٣٦	٢٦٣	

جدول (٥): نوع الروابط النصية المضمنة في المشاركات علي صفحتي الدراسة

نوع الرابط	النسبة (%)
قصص إخبارية من مواقع وسائل إعلام	٣١
روابط فيسبوك	٢٧
قصص إخبارية من مواقع وسائل إعلام بديلة	١٥
رابط لحملة توقيعات	١٠
مدونات	٥
رابط لتويتر	٣
أخرى	١٠
١٢٢٠	

المستخدمين كثيفي المشاركة (١٩٪) على تعليقات المستخدمين منخفضي المشاركة (١٥٪) في توظيف إطار الوكالة، فيما تفوقت الأخيرة (١٣٪) على الأولى (٦٪) في توظيف إطار القيم.

الروابط المعلوماتية

في الإجابة عن السؤال الخامس الخاص بنوعية المعلومات التي شارك بها مستخدمو فيسبوك في صفحتي الدراسة، اتضح أن ٢١٪ من التعليقات تضمنت روابط فائقة كان ٣٥٪ منها لمعلومات نصية من الصحف والمدونات. ومن الروابط النصية كان ٣١٪ منها لروابط لقصص خبرية من الصحف الإلكترونية الكبيرة مثل صحيفتي «المصري اليوم»، و«الأهرام». (انظر الجدول رقم ٥) في حين كان ١٥٪ من هذه الروابط لموضوعات وأخبار من مصادر إعلامية

٢٠١٠، وتضمن دعوة إلى وقفة احتجاجية في القاهرة والإسكندرية. وبلغ عدد المشاركين الذين قالوا إنهم سوف يحضرون الوقفة ١٦٤٧ مشاركاً من إجمالي ١٢٤٠٠ يمثلون حجم متابعي الصفحة في ذلك الوقت، في حين قال ٦٦٤ إنهم قد يشاركون في الوقفة. وقد كتبت الدعوة بلغة بسيطة وواضحة، علي النحو التالي: «الجمعة القادمة في جميع أنحاء مصر سوف نرتدي جميعاً ملابس سوداء للتعبير عن حزننا على أخينا خالد سعيد... لكي نمسح الدموع من عيني أمه».

وقد طالبت معظم التعليقات علي هذا الملصق مدير الصفحة بتوسيع نطاق الوقفة الاحتجاجية لتشمل مناطق أخرى من مصر وليس القاهرة والإسكندرية فقط. وقال تعليق لأحد المشاركين: «نعم لقد حان الوقت لكي نعبر عن أنفسنا بوضوح ولكي يصل صوتنا إلى الديكتاتور».

وكشف التحليل أن ٢١٪ من التعليقات التي دعت إلي القيام بأعمال احتجاجية في الشوارع كانت تدعو إلى فعل احتجاجي عام، و٤٪ كانت تدعو إلى التوقيع على قائمة مطالب جماعية، و١١٪ كانت تشجع الآخرين علي نشر فكرة الاحتجاج، و٦٪ تناولت موضوعات أخرى. وقدمدت ٧٪ من التعليقات بعض النصائح المهمة للمتظاهرين خاصة عند التعامل مع قوات الأمن خلال الاحتجاج، مثل: «لا تخف من قوات الأمن..إنهم لن يتعرضوا لك ما دمت بعيداً عن نهر الشارع ولم تعطل حركة المرور».

تواتر المشاركات علي الصفحتين

فيما يتعلق بالسؤال الرابع الخاص بعلاقة الأطر الفرعية المستخدمة في مشاركات المستخدمين بدرجة انتظام المستخدم في المشاركة، فقد كشفت الدراسة إن معظم المستخدمين (٥٠,٩٪) يُصنفون ضمن فئة «منخفضو المشاركة» الذين يشاركون بالتعليق لمرة واحدة فقط في اليوم الواحد، في حين كان ٢٧,٥٪ من متوسطي المشاركة الذين بلغ عدد مشاركاتهم من مرتين إلى ثلاث مرات يوميا، و٢١,٥٪ من كثيفي المشاركة الذين بلغ عدد مشاركاتهم من أربع مشاركات فأكثر في اليوم الواحد.

وتشير نتائج الدراسة إلى أن المستخدمين بجميع فئاتهم السابق ذكرها قد تساوا تقريباً في التركيز في مشاركاتهم على الموضوعات المتصلة بالاحتجاج والأعمال الاحتجاجية. في المقابل فإن المستخدمين كثيفي المشاركة تفوقوا على نظرائهم منخفضي المشاركة في نقل المعلومات (٢٤٪ مقابل ٢٢٪)، في حين تفوق منخفضو المشاركة (١٤٪) علي كثيفي المشاركة (٦٪) في تأييد الحركة وتقديم التشجيع لها. وقد تنوعت وظائف التعليقات أيضاً طبقاً لدرجة كثافة المشاركة في اليوم الواحد (انظر الجدول رقم ٤). وكان المستخدمون كثيفو المشاركة (٤٥٪) الأكثر في الدعوة إلى القيام بأعمال احتجاجية من المستخدمين منخفضي المشاركة (٢٩٪).

وقد اختلفت أيضاً الأطر المستخدمة في الملصقات وفقاً لدرجة كثافة المشاركة. إذ تفوق المستخدمون كثيفو المشاركة (٤٨٪) على نظرائهم من منخفضي المشاركة (٣٢٪) في كتابة تعليقات ذات إطار تحريضي. وبالنسبة للأطر الفكرية فقد تفوقت تعليقات

بديلة.

ويكشف التحليل أن نحو ٢٠٪ من الروابط كانت لصور ثابتة، مثل صور احتجاجات سابقة كان يتم تحميلها علي معرض الصور في فيسبوك. في المقابل فإن ١١٪ من الروابط كان للقطات فيديو مأخوذة من موقع يوتيوب، فيما اقتصرت الروابط المسموعة على ١٪ فقط وتركزت في تقارير من محطات راديو مستقلة على الإنترنت. وأوضحت الدراسة أن المستخدمين الذكور كانوا أكثر اهتماما من الإناث بوضع روابط مع مشاركاتهم (٢٩٪ مقابل ١٨٪)، كما أوضحت أن المستخدمين كثيفي المشاركة (٤٠٪) كانوا أكثر استخداما للروابط من نظرائهم منخفضي المشاركة بمقدار الضعف تقريبا (٢٠٪) في مشاركاتهم علي الصفحتين موضوع الدراسة.

التفاعلية والصحفي المواطن

في الإجابة عن السؤال السادس الخاص بنوعية التفاعل بين العالمين الحقيقي والافتراضي الذي يولده فيسبوك، فقد تم قياس ذلك من خلال تحديد ما إذا كان التعليق قد جاء ردًا علي تعليق آخر، وما إذا كان المستخدمون الآخرون قد أبدوا إعجابهم بالتعليق، بالإضافة إلى ما إذا كان المستخدم قد قام بدور الصحفي المواطن ونقل ما رآه من أحداث كمشاهد عيان. وقد كشف التحليل أن نحو ١٧٪ من التعليقات المنشورة في الصفحتين قد نالت إعجاب مستخدمين آخرين. وحصلت تعليقات المستخدمين كثيفي المشاركة علي إعجاب أكبر (٣٨٪) مقارنة بتعليقات نظرائهم من منخفضي المشاركة التي حصل ٧٪ فقط منها علي إعجاب مستخدمين آخرين. كما كشف التحليل أن ٣٤٪ من تعليقات المستخدمين منخفضي المشاركة جاءت ردًا علي تعليقات لمستخدمين آخرين، ولم تمثل تعليقًا جديدًا، في مقابل ٢٨٪ فقط من تعليقات المستخدمين كثيفي المشاركة.

وبلغت نسبة المشاركات التي يمكن أن تندرج ضمن أعمال المواطن الصحفي ٨٪ فقط من إجمالي التعليقات المنشورة في الصفحتين، واحتوت علي رواية شهود عيان لأحداث ومظاهرات وتضمنت لقطات فيديو وصورًا. وقد تفوقت مشاركات المواطن الصحفي بمرتين ونصف تقريبًا علي المشاركات غير الصحفية في استخدام روابط الويب (٥٣٪ مقابل ٢١٪)، وكان المستخدمون الذكور مثل الإناث تقريبًا في العمل كصحفيين مواطنين (٦٪ مقابل ٥٪).

مناقشة النتائج والخلاصة

باستخدام المقابلات المتعمقة وتحليل محتوى المشاركات علي فيسبوك (الملصقات والتعليقات)، كشفت هذه الدراسة كيف تم توظيف صفحات فيسبوك في الحشد لثورة إلكترونية في مصر. وأوضحت الدراسة أنه بسبب الطرق التي تم تأطير المشاركات بها وكذلك الطرق التي تم استخدام سمات فيسبوك التفاعلية، أمكن لثوار الإنترنت توليد شعور بالانتماء للمجتمع وتأسيس حركة رفض سياسي واجتماعي إلكترونية، ثم نقل هذه الحركة إلى شوارع مصر.

وأظهرت المقابلات المتعمقة مع منظمي هذه الحركة، أن الشباب الذكور المتعلمين الذين استخدموا فيسبوك للتعبير عن إحباطاتهم

من الحكومة لم يتصورا في البداية أن الصفحات التي أنشئوها سوف تكون يمثل هذه القوة لتوحيد مئات الآلاف من المصريين في حركة احتجاجية وتكوين حركة احتجاجية شبكية (Castells, 2001). ولعل هذا ما يدفعنا إلى القول إنه بدون فيسبوك، كما قال هؤلاء الشباب، فإن مثل هذه الحركة الكبيرة لم يكن بالإمكان تشكيلها والحشد الجماهيري لها.

ويكشف تحليل مضمون أطر وموضوعات ووظائف المشاركات علي فيسبوك أنها أسهمت بشكل كبير في نقل الثورة من الفضاء الافتراضي إلي الشارع من خلال التركيز على الاحتجاجات ودعوة الآخرين للمشاركة فيها ونشر الفكرة علي نطاق واسع. وبالإضافة إلى دعمها أطر العمل الجماعي لجيرهاردز وروشيت، فقد أظهرت الدراسة أن الملصقات والتعليقات تم تأطيرها بطريقة تدفع الآخرين إلى المشاركة في الثورة الإلكترونية ومن ثم في الثورة الفعلية سواء من خلال حضور الاحتجاجات أو التوقيع على المطالب. بالإضافة إلى ذلك فإن الأطر الموضوعية الفرعية لغالبية تعليقات مستخدمي فيسبوك كانت ذات علاقة بالاحتجاجات، في حين أن الأطر الوظيفية الفرعية كانت تدعو إلى العمل الاحتجاجي. وبالإجمال كانت كل مكونات الثورة الإلكترونية تركز على الحشد للمشاركة في الثورة الفعلية. وبدلاً من استخدام فيسبوك كساحة للحديث عن العدالة أو انتقاد الحكومة فإن المستخدمين كانوا يحشدون لحركة إلكترونية وفعلية وينظمون الاحتجاجات ويعرضون صور هذه الاحتجاجات ويعبرون بنشاط عن دعمهم للثورة. ونتيجة لاستخدام فيسبوك خرج ملايين المصريين إلى الشوارع بدءاً من يوم ٢٥ يناير للتظاهر احتجاجاً أمام المقرات الحكومية وحتى سقوط نظام حكم الرئيس مبارك في ١١ فبراير ٢٠١١.

وفي حين ركزت تعليقات المستخدمين منخفضي المشاركة علي القيم، فإن تعليقات المستخدمين كثيفي المشاركة كانت تركز أكثر علي العمل والمشاركة في الاحتجاجات. وعلي ذلك فإن نتائج الدراسة لا تتفق مع نتائج دراسات سابقة أشارت إلى أنه من غير المحتمل أن يقود النشاط الإلكتروني إلى نشاط احتجاجي فعلي في الشارع. وقد أكدت الدراسة أن أنشطة فيسبوك خاصة من جانب المستخدمين كثيفي المشاركة قد ترجمت إلى مشاركة فعلية في الشارع، وحقق هؤلاء المستخدمون نجاحاً ملموساً في محاولات إشراك الآخرين في الاحتجاجات، ويظهر ذلك في حجم الإعجاب الكبير الذي أبداه المشاركون الآخرون للتعليقات التي تتصل بالتحريض على الاحتجاج والدعوة إلى التحرك في الشارع. وتعود المشاركة الكثيفة لهؤلاء المستخدمين في الثورة الإلكترونية علي فيسبوك إلى امتلاكهم شبكة كبيرة من الأصدقاء واستخدامهم لفيسبوك منذ فترات طويلة. ويعطي هؤلاء المستخدمون - من خلال تعليقاتهم المنشورة - انطباعات عن كونهم أكثر دراية بالشؤون السياسية، وأظهرت تعليقاتهم فهماً جيداً لقواعد الحشد الجماهيري، كما في حالات الدعوة إلى التوقيع على مطالب جماعية، أو الإعلان عن تنظيم مظاهرة شعبية. ويؤكد ما سبق ما انتهت إليه الدراسة من أن مستخدمي فيسبوك الذين كانت لديهم خبرة سابقة في

التواصل الاجتماعي في خلق حركات احتجاجية جديدة في الشارع. وبالإضافة إلى ذلك فإن الدراسة تقدم رؤية ثقافية جديدة لنظريات الحركات الاجتماعية، كونها تحلل حركة احتجاجية في دولة عربية، وهو ما يؤكد أن أطر العمل الجماعي لهذه الحركات لا تقتصر على دول بعينها. إذ أكدت الدراسة أن الأطر المشار لها (التشخيصية والتنبؤية والتحريضية) كانت حاضرة وبقوة في مشاركات مستخدمي فيسبوك في مصر. ومن خلال تحليل المشاركات ونوع الروابط المعلوماتية وتعليقات المواطنين الصحفيين تسهم الدراسة في التراث العلمي الجديد الذي يركز على تحليل تأثير مواقع الشبكات الاجتماعية على الحركات الاجتماعية.

ولكونها اقتصرت على تحليل صفحتين فقط من عدد من صفحات فيسبوك ارتبطت بالثورة المصرية، فإن ما تثيره هذه الدراسة من بحوث جديدة كثير جدا. ونكتفي هنا بالإشارة إلى أهمية بحث جوانب الاتفاق والاختلاف بين الصفحات التي تولت الدعوة إلى الثورة المصرية، والمقارنة بين استخدام فيسبوك ووسائل الإعلام الاجتماعية في أكثر من حركة احتجاجية في العالم العربي بوجه خاص وفي العالم بوجه عام، لكي يتم تحديد دور فيسبوك في نجاح أو فشل هذه الحركات. كما يمكن أن تتراد البحوث الجديدة مناطق جديدة في هذا المجال، مثل «التفرقة الرقمية» digital divide في الحركات الاجتماعية الإلكترونية وكيف تؤثر وسائل الإعلام الاجتماعية في هذه التفرقة.

وإجمالاً فقد أظهرت الدراسة أن الإنترنت- بفعل تطور وسائل الإعلام الاجتماعية الإلكترونية- أصبح لديها القدرة على خلق- وليس فقط دعم- حركات الرفض السياسي والاجتماعي في العالم العربي. إذ اتضح أن ما حدث في مصر لم يكن حركة احتجاج تكونت في الواقع الفعلي ثم استخدمت الإنترنت كأداة للترويج والحشد الجماهيري، وإنما كانت حركة تشكلت عبر تجمع مئات الآلاف من المصريين على موقع فيسبوك ليشكلوا معاً حركة إصلاح إلكترونية انتقلت بعد ذلك إلى الشارع. والمحصلة أن أطر العمل الجماعي والروابط والتفاعل بين المصريين عبر استخدام إمكانات التجمع التي أتاحتها فيسبوك كان لها دور كبير في انتقال حركة الاحتجاج المصرية من الفضاء الافتراضي إلى العالم الحقيقي. إذ بينما خرج هؤلاء في البداية إلى فيسبوك للتعبير فقط عن غضبهم إزاء مقتل الشاب خالد سعيد فإن هذا الحادث مثل الشرارة الأولى التي أدت إلى تشكل حركة الرفض الإلكترونية، ومن ثم إشعال الثورة المطالبة بالعدالة والمناهضة للعنف.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن وصف الثورة المصرية بأنها "ثورة فيسبوك" كما أسماها بعض المحللين والمعلقين، وإن كان صحيحاً في ضوء نتائج الدراسة، لا يمكن أن يقلل على الإطلاق من دور ملايين المصريين الذين لم تكن لهم علاقة بالإنترنت أو بفيسبوك، وخرجوا إلى الشوارع معرضين أنفسهم للموت أو الإصابة دفاعاً عن حريتهم وكرامتهم. ومع ذلك فإن الأمر المؤكد إن الثورة المصرية لم تكن لتحدث بدون نشاط فيسبوك الذين كتبوا- مع بقية المواطنين- التاريخ.

المشاركة في الاحتجاجات كانوا الأكثر نشاطاً، سواء على الإنترنت أو في الشارع، وهو الأمر الذي يشير إلى أن المواطنين الناشطين في الشارع كانوا أنفسهم الناشطين إلكترونياً والعكس صحيح.

ويكشف تحليل المضمون أيضاً كيف استفاد مستخدمو فيسبوك من المميزات التفاعلية التي يوفرها الموقع. إذ اتضح أن غالبية مشاركات المستخدمين قد تضمنت روابط للقطات فيديو وصوراً ونصوصاً منشورة في وسائل إعلام بديلة أثناء تغطيتها لبعض الاحتجاجات، وهو ما لم يكن بالإمكان الحصول عليه من خلال مشاهدة التلفزيون أو قراءة الصحف التقليدية. وقد ساعد الخيار الخاص الذي يقدمه فيسبوك لإبداء الإعجاب بتعليق أو التعليق على تعليق آخر في تعزيز الحوار بين المشاركين وخلق شعور بالهوية الجماعية، الأمر الذي أسهم في زيادة احتمالات المشاركة في الأنشطة الاحتجاجية الفعلية. كما أسهمت خاصية الإشارة بالاسم إلى صاحب التعليق الأصلي وتضمينه في التعليق الجديد في توطيد أواصر العلاقة بين المشاركين في الحركة الاحتجاجية الإلكترونية وخلق الثقة بينهم وبناء هوية جماعية لهم، وهي الضمانات التي أشارت الدراسات السابقة إلى أهميتها لنجاح الحركة الاحتجاجية. وعلي ذلك يمكن القول إن مميزات فيسبوك التي تسمح بالتفاعل بين المستخدمين قد أسهمت في خلق هوية جماعية عملت على دفع الحركة الاحتجاجية من الإنترنت إلى الشارع.

وفي ضوء ما خلصت له الدراسة من أن عدداً قليلاً من مستخدمي فيسبوك قد استفادوا مما يوفره لهم الموقع للعمل كمواطنين صحفيين من خلال ما يقدمونه كشهود عيان من أخبار عن الاحتجاجات، يمكن القول إن هذه النتيجة تتوافق مع حقيقة أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في نشر أخبار المواطن الصحفي مازال أمراً جديداً نسبياً في وسائل الإعلام الاجتماعية بوجه عام. ويضاف إلى ذلك أنه في دولة مثل مصر عانت من تاريخ طويل من القمع كان من الطبيعي أن يعزف مستخدمو فيسبوك عن القيام بدور المواطن الصحفي. وبالنسبة للعدد القليل من المستخدمين الذين نشروا ملصقات وتعليقات يمكن أن تندرج ضمن صحافة المواطنين، فإن فيسبوك أمدهم بالوسائل التي مكنتهم من تجاوز حراس البوابات في وسائل الإعلام التقليدية وسمح للمشاركين في الحركات الاحتجاجية بنشر معلوماتهم الخاصة والترويج للأنشطة التي تتجاهل وسائل الإعلام التقليدية الإشارة لها. وتشير المشاركات المعلوماتية لمستخدمي فيسبوك سواء الذين كانوا يشاركون في الاحتجاجات الإلكترونية أو احتجاجات الشارع إلى أن الصحفيين المواطنين، مثلهم في ذلك مثل المميزات التفاعلية لفيسبوك، قد أسهموا في تحويل الحركة الاحتجاجية الإلكترونية إلى حركة فعلية في الشارع.

إن هذه الدراسة تمثل- من وجهة نظرنا- إضافة مهمة في زيادة فهمنا لظاهرة حديثة نسبياً وهي ظاهرة الحركات الاجتماعية الاحتجاجية على الإنترنت. ففي حين ركزت الدراسات السابقة على دور الإنترنت في تسهيل عمل الحركات القائمة بالفعل، فإن هذه الدراسة تكشف كيفية استخدام الإنترنت خاصة شبكات

المراجع

- 2011: Research notes. *Journalism* 12: 647.
14. Egypt Facebook Statistics (2013), available at: <http://www.socialbakers.com/facebook-statistics/egypt>.
15. Diani, M., 2000, Social movement networks virtual and real. *Information, Communication & Society* 3(3): 386–401.
16. Entman, R. M., 1993, Framing: Toward clarification of a fractured paradigm. *Journal of Communication* 43(4): 51–58.
17. Gerhards, J. and Rucht, D., (1992) Mesomobilization: Organizing and framing in two protest campaigns in West Germany. *American Journal of Sociology* 98: 555–595.
18. Ghannam, J., 2011, *Social Media in the Arab World: Leading up to the Uprisings of 2011*. Washington, DC: Center for International Media Assistance.
19. Gitlin, T., 1980, *The Whole World is Watching: Mass Media in the Making & Unmaking of the New Left*. Berkeley: University of California Press.
20. Goffman, E., 1974, *Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience*. New York: Harper & Row.
21. Hara, N., 2008, Internet use for political mobilization: Voices of participants. *First Monday* 13(7).
22. Harlow, S., 2012, Social media and social movements: Facebook and an online Guatemalan justice movement that moved offline. *New Media & Society* vol. 14 no. 2 225–243.
23. Ishani, M., 2011, The hopeful network. *Foreign Policy*. Available at www.foreignpolicy.com/articles/2011/02/07/the_hopeful_network
24. Jasper, J. M., 1997, *The Art of Moral Protest: Culture, Biography, and Creativity in Social Movements*. Chicago, IL: University of Chicago Press.
25. Juris, J. S., 2005, The new digital media and activist networking within anti-corporate globalization movements. *Annals of the American Academy of Political and Social Science* 597(1): 189–208.
26. Kahn, R. and Kellner, D., 2004, New media and Internet activism: From the 'Battle of Seattle' to blogging. *New Media & Society* 6(1): 87–95.
27. Kerner, O., 1968, *Report of the National Advisory Commission on Civil Disorders*. New York: Ban-
1. Allan S., Thorsen E (Eds), 2009, *Citizen Journalism: Global Perspectives*. New York: Peter Lang.
2. Atton, C., 2003, Reshaping social movement media for a new millennium. *Social Movement Studies* 2(1): 3–15.
3. Ayres, J.M., 1999, from the streets to the Internet: The cyber-diffusion of contention. *Annals of the American Academy of Political and Social Science* 566: 132–143.
4. Beaumont, P., 2011, The truth about Twitter, Facebook and the uprisings in the Arab world. *The Guardian* Friday 25 February. Available at www.guardian.co.uk/world/2011/feb/25/twitter-facebook-uprisings-arab-libya
5. Boyd and Ellison N.B., 2007, Social network sites: Definition, history and scholarship. *Journal of Computer-mediated Communication* 13(1): 210–230.
6. Brodock K, Joyce M and Zaack T., 2009, Digital activism survey report 2009. DigiActive. Available at: http://www.digiactive.org/wpcontent/uploads/Research4_SurveyReport2009.pdf
7. Cammaerts, B., 2007, Introduction: Activism and media. In: Cammaerts B and Carpentier N (Eds) *Reclaiming the Media: Communication Rights and Democratic Media Roles*. Chicago, IL: University of Chicago Press, 217–224.
8. Cardoso, G and Pereira Neto P., 2004, Mass media driven mobilization and online protest: ICTs and the pro-East Timor movement in Portugal. In: Van de Donk W, Loader BD, Nixon PG and Rucht D (Eds) *Cyber protest: New Media, Citizens and Social Movements*. London: Routledge, 147–163.
9. Castells, M. 2001, *The Internet Galaxy: Reflections on the Internet, Business and Society*. Oxford: Oxford University Press.
10. Cleaver, H., 1998, The Zapatista effect: The Internet and the rise of an alternative public fabric. *Journal of International Affairs* 51: 621–632.
11. Cottle, S., 1993, *TV News, Urban Conflict and the Inner City*. Leicester: Leicester University Press.
12. Cottle S, Lester L (Eds), 2011, *Transnational Protests and the Media*. New York: Peter Lang.
13. Cottle, S. 2011, Media and the Arab uprisings of

- Guide. Boston: Bedford/ St. Martin's.
39. Postmes, T. and Brunsting. S., 2002, Collective action in the age of the Internet: Mass communication and online mobilization. *Social Science Computer Review* 20(3): 290–301.
40. Reese, S.D., 2007, The framing project: A bridging model for media research revisited. *Journal of Communication* 57: 148–154.
41. Ribeiro, G. L., 1998, Cyber cultural politics: Political activism at a distance in a transnational world. In: Alvarez SE, Dagnino E and Escobar A (eds) *Cultures of Politics, Politics of Cultures: Re-visioning Latin American Social Movements*. Boulder, CO: Westview Press, 325–352.
42. Rolfe, B., 2005, Building an electronic repertoire of contention. *Social Movement Studies* 4(1): 65–74.
43. Scarman, L. G., 1986, The Scarman Report – Report of an Inquiry by the Right Honourable the Lord Scarman, OBE. (The Brixton Disorders, 10–12 April 1981). Harmondsworth: Penguin.
44. Schussman, A. and Earl, J., 2004, From barricades to firewalls? Strategic voting and social movement leadership in the Internet age. *Sociological Inquiry* 74(4): 439–463.
45. Stern, S., 2007, Gender constructed online, stereotypes reified offline: Understanding media representation of adolescent girls on MySpace. Paper presented at the International Communication Association, San Francisco, 24–28 May.
46. Tarrow, S., 1988, *Power in Movement*. Cambridge: Cambridge University Press.
47. Tilly, C., 1978, *From Mobilization to Revolution*. Reading, MA: Addison-Wesley Publishing Company.
48. Van de Donk W, Loader B. D., Nixon P.G. and Rucht, D., 2004 *Cyber protest: New Media, Citizens and Social movements*. London: Routledge.
49. Vegh, S., 2003 Classifying forms of online activism: The case of cyber protests against the World Bank. In McCaughey M and Ayers MD (eds) *Cyber-activism: Online Activism in Theory and Practice*. New York: Routledge, 71–95.
50. Waters R. D., Burnett E, Lamm A and Lucas, J., 2009, Engaging stakeholders through social
- tham Books.
28. Lomicky, C. S. and Hogg, N. M. 2010, Computer-mediated communication and protest. *Information, Communication & Society* 13(5): 674–695.
29. Matthes, J., 2009, What's in a frame? A content analysis of media framing studies in the world's leading communication journals, 1990–2005. *Journalism & Mass Communication Quarterly* 86(2): 349–367.
30. McLeod, D. M., and Hertog, J. K., 1999, Social control, social change and the mass media's role in the regulation of protest groups. In: Demers D and Viswanath K (eds) *Mass Media, Social Control and Social Change: A Macrosocial Perspective*. Ames: Iowa State University Press, 305–330.
31. Morozov, E., 2007, The new frontier in human rights. *Transitions Online*, 27 April. Available at: <http://www.tol.org/client/article/18700-the-new-frontier-in-human-rights.html> (accessed 16 December 2010).
32. Morozov, E. 2009a, Iran: Downside to the 'Twitter Revolution'. *Dissent* 56(4): 10–14.
33. Morozov, E., 2009b, Texting toward utopia: Does the Internet spread democracy? *Boston Review*, March/April. Available at: <http://bostonreview.net/BR34.2/morozov.php> (accessed 16 December 2010).
34. Noakes, J. A., and Johnston, H., 2005, Frames of protest: A road map to a perspective. In: Johnston H and Noakes JA (eds) *Frames of Protest: Social Movements and the Framing Perspective*. Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 1–29.
35. Oliver, P., and Marwell, G., 1988, The paradox of group size in collective action: A theory of critical mass II. *American Sociological Review* 53: 1–8.
36. Opp, K. D., 2009, *Theories of Political Protest and Social Movements: A Multidisciplinary Introduction, Critique, and Synthesis*. London: Routledge.
37. Park, N., Kee, K. F. and Valenzuela, S., 2009, Being immersed in social networking environment: Facebook Groups, uses and gratifications, and social outcomes. *Cyber Psychology & Behavior* 12(6): 729–733.
38. Poindexter, P. M., and McCombs, M. E., 2000, *Research in Mass Communication: A Practical*

network-ing: How nonprofit organizations are using Facebook. Public Relations Review 35: 102–106.

51. Zhang, Weiwu, Thomas J. Johnson, Trent Seltzer and Shannon L. Bichard, 2010, The Revolution Will be Networked: The Influence of Social Networking Sites on Political Attitudes and Behavior. Social Science Computer Review, vol. 28 no. 1 75-92